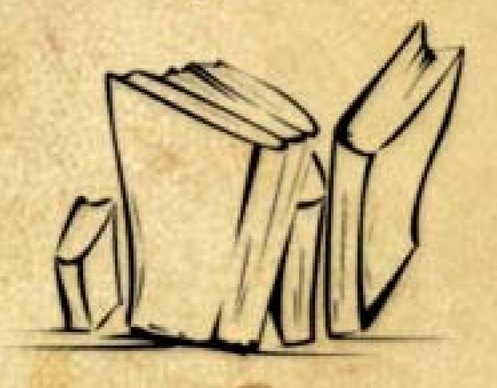
تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل

صبري بن سلامة شاهين

مصدر هذه المادة:





دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت الأذان يردد: الله أكبر الله أكبر .. لا إله إلا الله.

وصوت جرس المدرسة يدق.

عماد من بعيد: السلام عليكم يا عبد العزيز.

عبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله.

ياسر: السلام عليكم يا إخوان.

عماد وعبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله.

عماد: لعلك استفدت اليوم من درس التاريخ.

عبد العزيز: نعم، استفدت والحمد لله.

عماد: وأنت يا ياسر؟

ياسر: نعم يا عماد، فلقد أجاد الأستاذ وأحسن في عرض الموضوع.

عماد: هل أنتما على وضوء.

ياسر وعبد العزيز: لا.

عماد: حسنًا، إذن نصلي الظهر هنا في هذا المسجد، هيا لنتوضأ يا إخوان.

ياسر وعبد العزيز: هيا.

بعد فترة قضيت الصلاة.

عماد بصوت خافت:

أستغفر الله .. أستغفر الله .. أستغفر الله .. اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

ثم قال بصوت عال: أين ياسر يا عبد العزيز؟

عبد العزيز: ما زال يُصلي سُنة الظهر.

عماد: عجيبٌ أمر ياسر هذا، لقد أطال الصلاة على غير المعتاد.

يسكت عماد قليلاً ثم يتنهَّد، ويقول:

ولماذا لم تصلّ سُنة الظهر يا عبد العزيز؟

عبد العزيز: إن شاء الله أصلِّيها في البيت، لأنَّ هذا هو هدي رسول الله ﷺ.

عماد: صدقت يا عبد العزيز؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قضى أحدكم صلاته في المسجد فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا**».

ياسر: السلام عليكم.

عماد وعبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله.

عماد: لماذا تأخرت يا ياسر؟

ياسر: كنت أتنفَّل.

عماد: و لم لا تصلِّي النافلة في البيت؟.. ولماذا هذا التطويل في

الصلاة؟.. أخشى أن تكون صلاتك هذه لأنَّ الأستاذ إبراهيم كان يصلي بجوارك.

ياسر: ماذا تقصد يا عماد؟

عماد: لا أقصد شيئًا.

عبد العزيز: لا، أخوك عماد يقصد شيئًا تكرهه، إنه يخشى عليك من الرّياء.

ياسر بتعجب واستنكار:

رياء؟!.. رياءٌ في أيِّ شيء؟!

عماد يرفع صوته في عصبية:

في صلاتك هذه .. نعم، في صلاتك.

عماد يخفض من صوته ويقول:

يعلم الله يا ياسر أني أحبك وأحب لك الخير، وإني أودُّ مناقشتك في أمرٍ خطير.

ياسر: أمرٌ خطير؟!

عماد: نعم يا ياسر، أمرٌ خطير، فلقد رأيتك كثيرًا تُطيل الصلاة إذا كان بجوارك أساتذتك وزملاؤك وتخفِّفها إذا صلَّيت وحدك.

ياسر: وماذا في ذلك يا عماد؟

عماد: ألا تعلم أنَّ ذلك يُعَدُّ سمعةً ورياءً؟.. وقد قال رسول الله ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرَائي الله يرائي به**».

ياسر: وما معنى هذا يا عماد؟

عماد: من سمَّع، أي سمع الناس أعماله رياء، سمَّع الله بــه، أي فضحه يوم القيامة. ومن راءى، أي أظهر للناس العمــل الصــالح ليعظم عندهم، راءى الله به، أي أظهر سريرته على رءوس الخلائق.

عبد العزيز: عماد يا ياسر حريصٌ عليك ويخشــى أن تكــون صلاتك هذه من أجل الناس فتبطل صلاتك وتُغضِب ربك وتــأثم على ذلك.

ياسر: يا جماعة، أنا أصلِّي لله عزَّ وجل وليس للناس .. صحيح قد أقصد ثناء الناس عليّ وأن يكون لي عندهم ذكر حَسن.

عماد: لا ياسر، هذا خطأ، فالإخلاص أن تنسي الناس وتعمل لربِّ الناس.

عبد العزيز: يا ياسر، تقبَّل نصائح إخوانك؛ فقد قيل: احفــظ لسانك، وأقبل على شأنك واعرف زمانك واخفِ مكانك.

عماد: نعم، اخفِ مكانك، أي لا تحــرص علــى الظهــور والشهرة.

ياسر: لقد قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل الــذي يعمــل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ فقال ﷺ: «**تلك عاجل بُشرى المؤمن**».

عبد العزيز في تعجب واستنكار:

لا يا ياسر، هذا الحديث خلاف ما أنت عليه.

عماد: إذا فعلت الطاعة وأثنى عليك الناس وأنت لم تقصد ثناءهم ومدحهم و لم تبحث عنه أو تتشوَّف نفسك إليه فهذا يُعَد من عاجل بُشرى المؤمن.

عبد العزيز: أمَّا إذا طلبت المحمدة وحرصت على الثناء فهذا يُعَد من الرِّياء.

عماد: أنصحك يا ياسر أن تحرص على إخفاء عملك لعلك تنجو.

عبد العزيز: لقد صدق القائل "تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل".

عماد: وصدق القائل الآخر: ضرب السياط أهون علينا من النيَّة الصالحة.

يصلون إلى الباب، يطرقونه، يأتي صوت الجدُّ من الداخل:

- تفضَّل .. تفضَّل.

يُفتح الباب ويدخل الجدّ..

الأولاد لجدهم:

- السلام عليكم ورحمة الله.

الجدَّ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. حمدًا لله على سلامتكم يا أولادي.

عماد: سلَّمك الله من كلِّ سوء.

الجدّ: اجلسوا يا أولاد .. اجلسوا.

عبد العزيز: لنا مطلبٌ هام، فهل تسمح لنا؟

الجدّ: على الرَّحب والسعة، فأنا لكم، وكلِّي آذان مُصغِية.

عماد: نحن في أمسِّ الحاجة إلى إخلاص العمل لله عزَّ وجل وإصلاح النيَّة، فلو حدَّثتنا حول هذا الموضوع.

الجدّ: الإخلاص أهم المطالب وأعلى المنازل وأعظم الدرجات وأغلى المهمات ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾، «**وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**».

عبد العزيز: لو ضربت لنا مثالاً يُوضِّح لنا حقيقة الإخلاص.

الجدّ: الإخلاص يا ولدي أُمثِّله بأنقى وأبيض ثوب يؤثِّر فيه دنسٌ أو وسخ؛ فالإخلاص يؤثِّر فيه أقل شائبةً من رياء، وإذا اجتمعت الشوائب دنَّست الإخلاص واستأصلت الإيمان من القلوب.

عبد العزيز: لقد سُئل أحمد بن حنبل عن الصدق والإخلاص فقال: بهذا ارتفع القوم.

عماد: وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**إنما ينصر الله هذه الأمَّة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**».

الجدّ: ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال: إذا كان يُسأل الصَّادقين عن صدقهم مثل إسماعيل وعيسى عليهما السلام كيف بالكذَّابين من أمثالنا؟

ياسر: وهل حبُّ الثناء وطلب المنـزلة بين النـاس يُـؤثِّر في الإخلاص؟

الجدّ: نعم يا ولدي، بل يُحطِّم الإخلاص ويحرم الإنسان مـن الأجر والثواب، بل يكون ذلك وبالاً ونكالاً عليـه وخاصـة في الآخرة.

ياسر: قرِّب لنا هذا المعنى يا جد.

الجدّ: يكفي قول رسولنا الكريم ﷺ في بيان هذا المعنى فقـال: «**من تعلَّم علمًا مما يُبتغَى به وجه الله تعالى، لا يتعلَّمه إلا ليُصيب عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**».

ياسر: ما زلت في حاجة إلى مزيد بيان.

الجد: الصلاة يا ولدي من أفضل الطاعات، فإذا خالطها الرياء صارت من أقبح المعاصي يعاقب عليها الإنسان يوم القيامة ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾.

ياسر: والله يا جدِّي ما كنت أظنُّ أنَّ طلب الثناء من النـاس يدخل في هذا الأمر الخطير.

الجدّ: الحمد لله أن بصَّرك بذلك، وتذكَّر دائمًا قول رسـولك الكريم ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسـامكم ولا إلى صـوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

ياسر: ولِمَ يا جدِّي كلام السَّلف أنفع من كلامنا؟!

الجد: لأنهم يا ولدي تكلموا لعزِّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن سبحانه وتعالى، أمَّا نحن فنتكلَّم لعزِّ النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق والعياذ بالله.

عماد: احكِ لنا بعض أخبار السلف، فقد قيل: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

الجدّ: صدقت يا بُني، لقد قال أحد الصالحين: الحكايات جُند من جنود الله عزَّ وجل، يُقوِّي بها إيمان المؤمن.

ياسر في تعجب واستنكار: جُند من جنود الله؟..! كيف؟!

الجدّ: نعم يا بُني، جُند من جنود الله، ألم تسمع الله يقول: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾؟

عبد العزيز: لقد اشتقنا لسماع أخبار هؤلاء الأخيار.

الجد: هل تسمعون عن الربيع بن خثيم؟

عماد: نعم، إنه تلميذ عبد الله بن مسعود الذي قال له: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك.

عبد العزيز: رحمه الله؛ فلقد كان يقول له عبد الله بن مسعود: ما رأيتك إلاَّ ذكرت المخبِتين: ويتلو قول الله تعالى ﴿**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**﴾.

ياسر: وماذا عند الرَّبيع هذا؟!

الجدّ: هذا التابعيُّ الجليل مع علوِّ منزلته وفضله كان يُخفي

عمله، فما رُئي متطوِّعًا في مسجد قومه قط إلاَّ مَرَّة واحدة.

عماد: ولقد قرأت يا جدي أنَّ ابن ليلى رحمه الله إذا دخل عليه أحد وهو يصلِّي كان يضطجع على فراشه لكي يُخفي عليه عمله.

الجدّ: صحيح يا بني .. أما الإخلاص لله عزَّ وجل في باب الصدقات فيكفي فيه حديث السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّه، ومنهم: «**رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه**».

عبد العزيز: كان زين العابدين يُوصف بالبخل، ولما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيتٍ بالمدينة!

عماد: نعم، فلقد وجدوا بظهره عندما غسلوه آثارًا مما كان يحمل بالليل الجرب إلى المساكين.

عبد العزيز: لذلك قال أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر حتى مات زين العابدين.

ياسر: هل من نماذج أخرى؟ فلقد تشوَّفت نفسي إلى هؤلاء الأخيار.

الجدّ: نعم يا ولدي، فالنماذج كثير، فهذا داود ابن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله، فقد كان خزَّازًا يحمل معه غداءه فيتصدَّق به في الطريق ويرجع عشيًا فيفطر مع أهله، ويظن أهل السوق أنه أكل مع أهله ويظن أهله أنه أكل في السوق.

عماد: ورحم الله الشافعي حين قال: وددت أنَّ الخلق تعلَّموا هذا (أي علمه) على ألاَّ يُنسَب إليّ حرفٌ منه.

الجدّ: ولقد مرَّ الحسن البصري على طاووس وهو يُملي الحديث في الحرم في حلقة كبيرة، فاقترب منه وقال في أذُنه: إن كانت نفسك تُعجبك فقمْ من هذا المجلس، فماذا ترَون فعل طاووس؟

الأولاد: ماذا فعل؟!

الجد: لقد قام فورًا وترك المجلس.

ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال: أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون.

عماد: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.